

الصداق في مجتمع مدينة الجزائر 1672م-1854م

عائشة غطاس *

نوه الباحثون منذ سنوات خلت بالأهمية البالغة التي تكتسبها دراسة عقود الزواج في الكشف عن جوانب عديدة في الحياة الإقتصادية و الإجتماعية لمجتمع ما، إذ يتضمن فحوى العقد معطيات عن الأسر المتصاهرة وعن الشرائح الإجتماعية التي ينتمون إليها مما يساعدنا على فهم إستراتيجية نسج صلات المتصاهرة، كما يتضمن العقد أخبار ذات صلة وطيدة بالحياة الإقتصادية، من ذلك العملة المتداولة وقتذاك وأسعار بعض الحاجات كالقنطار، والقنطار الواحد من الصوف، والأمة و ما إلى ذلك . و لعل من أهم الأخبار التي يطلعنا بها عقد الزواج، الصداق من حيث المبلغ النقدي ومكوناته، من حيث طريقة تسديده مما يسمح لنا بالتعرف على الصداق كممارسة إجتماعية .

بعد المسح الشامل لسجلات المحاكم الشرعية¹ خرجنا بمدونة تضم خمسة وثلاثين ومائة عقد زواج تغطي الفترة الممتدة من 1087هـ إلى 271هـ/1672م إلى 1854م²، كما إستفتدنا من عدد قليل من عقود الزواج

*مؤرخة - جامعة الجزائر

¹ الأرشيف الوطني الجزائري، سلسلة وثائق المحاكم الشرعية.

² لقد أخذنا في الحسبان صداق المعتقات.

منشورة في بعض الدراسات³ من ذلك ثلاثة عقود ضمنهم ابن حمادوش في رحلته "لسان المقال"⁴.

مما يسمح لنا بتناول موضوع الصداق على مدى قرن ونصف. وواضح أن عدد العقود التي رصدناها ضئيل إذ ما قسناه بالمدة الزمنية⁵.

ومن الملاحظات الأولية التي يجب تسجيلها ما يلي :
أولا : إن تحديد المرحلة على النحو الذي ذكرناه لم يكن إختيارا متنا و إنما خضع لتوفر المادة، إذ إنطلقنا من أول عقد زواج عثرنا عليه وإنتهينا عند آخر عقد⁶.

ثانيا : إن مدونة عقود الزواج التي إعتدناها في هذه الدراسة، ليست ضمن مجموعة مستقلة و محفوظة بإسم مجموعة عقود الزواج، أو مجموعة الأحوال الشخصية، بل هي مبعثرة هنا و هناك عبر إثني وخمسين ومائة علبة التي تشملها سجلات المحاكم الشرعية، و في ثانيا مئات الوثائق، مما يجعل عملية الفرز شاقة و مضنية .

ثالثا : غياب عقود سابقة لعام 1703م، ماعدا عقدا واحدا يعود إلى 1672، و ندرتها بالنسبة للنصف الأول من القرن الثامن عشر، والسبب يعود حسب رأينا لما تعرضت له سجلات المحاكم الشرعية من إهمال و إتلاف بعد 1830⁷. ونظرا لتوفر المادة إلى ما بعد 1830، رأينا من المفيد مواصلة الدراسة خلال الثلاثين سنة التي أعقبت الإحتلال، لمقارنتها بالفترة السابقة و لمحاولة معرفة ما المتغيرات التي طرأت على مجتمع مدينة الجزائر في المجالين الإجتماعي و الإقتصادي ؟

³ BRESNIER CHRESTOMATIE ARABE.- Alger : 1845 - p.p. 362- 374.

⁴ ابن حمادوش الجزائري.- رحلة لسان المقال في النبأ و النسب و الحال، تحقيق و تقديم، أبو القاسم سعد الله.- الجزائر، 1983.- ص. 243.

⁵ لم يسعفنا الحظ في العثور على عدد أهم من هذا.

⁶ م. ش، علبة 59.

⁷ لقد سبق وأن تنبهنا إلى ذلك في مقالنا حول القضاة الأحناف. مقال تحت النشر.

يتكون الصداق من مبلغ نقدي ورد ذكره في جل العقود التي درسناها بالعملة المعروفة بالدينار الخمسيني⁸ و قد تراوح ما بين أربعة دنانير⁹ و مائتي و ألف دينار¹⁰.

ولا تمثل حالات الحد الأدنى والأقصى سوى نسبة ضئيلة. إذ لم نرصد سوى حالة واحدة و فريدة لأضحم صداق. أما صداق ألف دينار فلا يمثل سوى نسبة 3,22%، كما أن حالات دون مئة دينار هي الأخرى لا تمثل سوى نسبة 5,64%، بينما يعد صداق أربعمائة دينار أكثر تداولاً 45,16% ثم يليه صداق ثلاثمائة دينار بنسبة 24,19% و على سبيل المقارنة نجد الصداق في مجتمع مدينة قسنطينة في الفترة الممتدة من 1787 إلى 1800 قد تراوح ما بين ريالين و أربعة آلاف ريال¹¹ فالتفاوت بين الحد الأدنى والأقصى صارخ وهو أهم مما هو عليه في مجتمع مدينة الجزائر .

و تتوزع الحالات على النحو التالي¹² :

مائتا و ألف دينار	حالة واحدة
ألف دينار	أربع حالات
ثلاثمائة دينار	حالة واحدة
ستمائة دينار	إحدى عشرة
خمسماية دينار	ثلاث حالات
أربعمائة دينار	ست وخمسين
ثلاثمائة دينار	ثلاثون حالة
مائتا دينار	ست حالات
مائة دينار	حالتان

⁸ عملة جزائرية أصبحت متداولة منذ العشرينات من القرن السادس عشر حول هذا الموضوع أنظر:

MERROUCHE, L. -Les fluctuations de la monnaie dans l'Algérie ottomane.- Revue d'Histoire Maghrebine, 1996.

⁹ م. ش، علبة 78

¹⁰ م. ش، علبة 17،83

¹¹ GHECHI, F. Z. - Le Sadaq à Constantine à la fin du XVIII siècle.- Colloque "Pratiques quotidiennes et vie matérielle des jeunes du Maghreb".- Tunis, Octobre 1996.

¹² إستثنينا الحالات الخاصة بالمعتقدات.

أدى من مائة دينار سبع حالات
و يبدو من الحالات التي صادفتنا أن الحد الأقصى للصدّاق هو مائتا و
ألف دينار .

و فضلا عن ذلك إشتمل الصّدّاق على مكونات أخرى كالصوف و
الأفراد؟ والقفطان و الغليلة و الحايك و الحزام والجوهر و الأمة. و نرى أن
بعضا منها كان للإسهاد في تأثيث البيت الزوجي و البعض الآخر شكل
جزءا من جهاز العروسة. لكنه نادرا ما إجتمعت هذه المكونات في صدّاق
واحد. وارتبطت إرتباطا وثيقا بأهمية المبلغ النقدي للصدّاق بحيث كلما كان
المبلغ النقدي للصدّاق معتبرا كلما كانت المكونات كذلك. و هذا ما
يعكسه بجلاء صدّاق "مائتا وألف دينار¹³ و "ألف دينار¹⁴ و "ثمانائة دينار"
و "ستمائة دينار". و في ما يلي ما إشتمل عليه صدّاق مائتي وألف دينار و
ألف دينار .

مكونات صدّاق مائتي و ألف دينار

-قفطان : واحد موبر وأطلس¹⁵

-أربع أواق جوهر

-أربع أفراد ستيني¹⁶

-أربع قناطير صوف

-أمتان

أما صدّاق ألف دينار¹⁷ فقد إشتمل على ما يلي :

-قفطان : واحد كمخة وواحد مذهب.

-غليلتان

¹³ ملابس نسوية. حول هذا الموضوع أنظر : طيان شريفة. - ملابس المرأة بمدينة
الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير في الأثار الإسلامية. - جامعة
الجزائر، 1991

¹⁴ يعد أعظم صدّاق عثرنا عليه.

¹⁵ أنواع من الأقمشة الثمنية أضحت غير مستعملة على ما يبدو في القرن الثامن
عشر و التاسع عشر، حيث إستبدلت بالقطيفة ثم بالكمجة.

¹⁶ هذه العبارة هي الأخرى غامضة، و قد جاء ذكرها في مخطوط قانون على
الأسواق مرافقة لكلمة قماش : " قماش ستيني."

¹⁷ م. ش، علبة 17.

-حزامان

-أربع أفراد

-سنة قناطر صوف

-أمة من رقيق السودان

-و قيطان جوهر

بينما لا يشتمل - و في السنة نفسها- صداق ثلاثمائة دينار لراضية بين

محمد سوى¹⁸ على :

-قفطان واحد

-فرد واحد

ويظهر من دراستنا لمكونات الصداق، أن القفطان كان إحدى الشروط الأساسية فيه. إذ نص عليه ثلاثة و ثمانون عقدا، أي بنسبة قاربت 70%، و يعد بذلك أكثر الأزياء رواجاً و شيوعاً. فالنساء وقتذاك على إختلاف مستوياتهن كن يرتدين زي القفطان الذي كان يصنع من أقمشة متنوعة، ولاسيما من الكمخة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. و كان متداولاً لدى فئات مختلفة. أما بنات الطبقة الأرستقراطية فقد إرتدين دون غيرهن القفطان "المذهب" أي المطرز بخيوط الذهب .

وإختلفت أسعار القفطان المصنوع من الكمخة من فئة إلى أخرى. إذ تراوح ما بين ثلاثة و خمسة عشرة دينارا. وتتماشى أسعار القفطان و المبلغ النقدي للمصداق، فقفطان إثني عشر دينارا نجده في صداق ستمائة دينار و قفطان ثمانية دنانير في صداق أربعمائة دينار و دون ذلك كسنة و أربعة و ثلاثة دنانير نجدها في صداق ثلاثمائة دينار .

و تلي القفطان، الصوف إذ ورد ذكرها في خمس وعشرين حالة. و تراوحت كميتها ما بين قنطار و خمسة قناطير. و لم ينص سوى صداق واحد على كمية خمسة قناطير وهو صداق الزهرة بين السيد حسن التي عقد عليها إبراهيم شاوش العسكر عام 1235هـ/1820م¹⁹ و اللافت للإنتباه أننا

¹⁸ م. ش، علب 59؛ 78؛ 14.

¹⁹ في عقد هو الفريد جاءت عبارة أفراد مقرونة بعبارة "سنتيتي" و هي الأخرى غامضة. غير أنه إستنادا إلى قانون على الأسواق هناك نوع من القماش كان يعرف بالقماش سنتيتي مثلما أشرنا إليه أعلاه.

كثيرا ما وجدنا كمية الصوف مطابقة لعدد "الأفراد" إذ حصرنا حالات عديدة.

فتقرأ مثلا: "ثلاث قناطر صوف" و "ثلاث أفراد" و "فردين" و "قنطرين صوف" و "فرد" و "قنطار صوف". فهل يتعلق الأمر بممارسة إجتماعية؟ وإشترط في الصداق الأفراد لكن العبارة يكتنفها الغموض وليس من اليسير إعطاء معناها الحقيقي لاسيما وأنها وردت في وثائقنا دون أن تكون مقرونة بأية عبارة تُيسّر فهمها، مما أدى إلى تباين آراء الباحثين بشأنها²⁰ كما تضمن الصداق و مكونات أخرى، كالحزام و الغليلة والحايك. لكنها لم ترد سوى في حالات قليلة فالحزام ورد في أربع حالات، و الغليلة و الحايك في حالتين ليس إلا، وكانت مقصورة على بنات الطبقة الأرستقراطية .

هذا كما حصرت الأسرة الشريفة و ذات ألجاه و المكانة على أن تتميز عن غيرها من الشرائح الإجتماعية و أن تظهر بمظهر الأبهة والرخاء والرفاهية. فإشترطت في صداق بناتهن المصاغ ولاسيما الجوهر و ترواحت كميته بين نصف أوقية وأربع أوقيات²¹ كما نص عقد على حلي آخر باهض الثمن و هو الصارمة²² و إشرط أيضا توفير الأمات: من رقيق

²⁰ فسر بعضهم العبارة على أنها نوع من الحلي الخاص باليد من بينهم سعد الدين بن شنب وهو أول من تناول بالدراسة عقد زواج يعود إلى القرن الثامن عشر. كما ذهب نفس المذهب د.سعد الله أثناء تعليقه على عقد زواج رقية بنت المقرري.

لكننا نستبعد ذلك فالوثائق التي تعرضت للمصاغ تتميز بالدقة و لم تشر إلى عبارة أفراد و لو مرة واحدة بينما صادفتنا عبارة مساييس ذهب و في عقد تحبيس يعود إلى عام 1139 هـ/1126م جاءت عبارة أربع فردات مساييس و ست فردات مققول. الوثيقة منشورة في مقالنا بعنوان: إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.- المجلة التاريخية المغربية، العددان 85-86، ماي 1997. كما جاء ذكر عبارة فرد [و جمعت بالأفراد] في وثائقنا بمعننا للثور و مازالت إلى يومنا متداولة. فهل عبارة "الفرد" كانت ترمز إلى شيء متعارف عليه آنذاك شيء على جري العادة؟

²¹ الأونسة من الأوزان القديمة.

²² حلي للباس الرأس يبدو أنه ظهر بمدينة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر و هو عبارة عن صفيحة رقيقة من الذهب أو الفضة مخروطة الشكل ذات قاعدة مستديرة.

السوداء الصالحة للخدمة، لتشرف على راحة بناتهن و لتسهر على تحقيق رغباتهن و مطالبهن و لتقوم مقامهن في الأشغال المنزلية .

وكل اللواتي إستفدن من المصاغ إستفدن من "الأمات" أيضا وكنّ من أسر ذات حسب و نسب، فأربع سيدات كنّ من أسرتين دينيتين، أسرة "سيدي محمد الشريف الزهار" و "أسرة بن واضح"، وواحدة من أسرة علم وجاه و هي أسرة "المقري" و أخرى من فئة ثرية و هي فئة "رياس البحر".

بينما صادفتنا حالة واحدة قد تبدو غريبة أو شاذة و هي حالة بنت أحد الحرفيين، وهي فاطمة بنت الحاج أحمد الدباغ التي تزوجها ابن عمها عبد الرزاق ابن حمادوش، فهل يعود ذلك لكون الزوجة بنت العم فإشترط تمتعها بأمة حتى لا تبدو في مرتبة أدنى من مرتبة النساء الأخريات ؟ أم أنّ حرفة الدباغة كانت من النشاطات الحرفية المربحة في أوئل القرن الثامن عشر ؟ و تكاد هذه الممارسة أن تكون الوحيدة الشائعة. فكل الزوجات إستفدن من مهر إشتمل على مبلغ نقدي، و على مكونات، ما عدا حالتين :

واحدة نصت على مبلغ نقدي محدد غير أنه إتفق على أن يكون تسديده بالجمع بين النقدي و العيني، إذ نص العقد على مايلي: صداق مبارك ... عشرون دينار دفع لها في شطر الصداق فرس أنثى صفرة اللون بعشرة دنانير ... وهو صداق لسيدة مطلقة و لها ابن²³. و يفهم من النسبة التي صاحبت إسم العاقد عليها : "الزروق بن عبدون الحسناوي نسباً" أنه لم يكن من "البلدية". أما الحالة الثانية فقد نصت على مبلغ نقدي و آخر عيني: ستين ريال بوجو ..وعجمي ومسوكية... دون إشارات أخرى²⁴. تبدو هذه الممارسة غريبة في مجتمع حضري، و لاشك أن الأمر يتعلق في الحالتين بالوافدين إلى المدينة.

*و جاء في العقد الملحق بالدراسة، ... وقيتان اثنتان إحداهما تجعل مع الخيرية و ذلك صارمة ذهب... فهل يفهم من ذلك أن الصارمة كانت من ضمن مكونات الصداق؟

²³ م. ش، علبة 28/1

²⁴ م. ش، علبة 46/2.

ما الإعتبارات التي حددت قيمة الصداق ؟ فهل حدده الإنتماء الفئوي للزوجة أم للزوج ؟ أم لهما معا ؟ أم حددته وضعية المخطوبة بكر، أو ثيب²⁵ متوفى عنها أم ثيب مطلقة ؟

إن عقود الزواج التي رصدناها لا تخص فئة بعينها، إذ عثرنا على عقود تخص بنات الطبقة الأرستقراطية أو "الخاصة" و أخرى تخص بنات "العامّة"، بل وجدنا عقودا تخص حتى المعتقدات. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عثرنا على عدة حالات في السنة الواحدة، الشيء الذي يسمح لنا بالوقوف عند الفروق الموجودة .

ففي عام 1186هـ/1774م²⁶ عثرنا على صداقين في غاية الأهمية. بلغ الصداق الأول ألف دينار و إشمّل على مكونات هامة من حيث عددها و طبيعتها بينما لم يتعد الصداق الثاني ثلاثمائة دينار فضلا عن قفطان واحد²⁷ .

في الحالة الأولى يتعلق الأمر بصداق إحدى بنات الأسر العريقة في مجتمع مدينة الجزائر و هي زهرة بنت سيدي محمد الشريف وزوجها و هو محمد بن الحاج أحمد شيخ البلد كان هو الآخر من أسرة عريقة إذ كان والده وقتئذ على رأس إحدى المؤسسات الهامة بالمدينة ألا و هي مشيخة البلد. أما الحالة الثانية فلا نعرف عن صاحبها سوى أنها بكر لكن الأخبار بشأن الزوج تفيدنا بأنه ينتسب إلى أسرة هني المستغامية التي تعاطت نشاطا حرفيا متواضعا و هو "صناعة البلغة" و تواضع المبلغ النقدي هو الآخر أحد المؤشرات و يسمح بالقول بأنها كانت من أسرة متواضعة و التفاوت في هاتين الحالتين يفوق ثلاثة أضعاف .

إن الحالتين تعكسان بجلاء التفاوت الموجود بين فئتين متميزتين، فئة الأرستقراطية بشقيها الديني و المدني التي كانت تعيش في رخاء ورفاهية و فئة الحرفيين المتوسطي الحال. وعثرنا على حالتين آخرين تعودان إلى عام 1207هـ/1792.

²⁵ يعرف الفقهاء الثيب كما يلي: الثيب من النساء التي تزوجت و فارقت زوجها بأي وجه كان بعد أن مسها. أما ابن الأثير فيعرفها بمن لست ببكر.

²⁶ م. ش علبة 84-85.

²⁷ م. ش، علبة 83.

تراوح فيها الصداق بين ثلاثمائة وأربعمائة²⁸. و في كلتا الحالتين نجعل تماما وضعية الزوجتين، فلا نملك أية معطيات بشأنهما، ما عادا الأسماء التي لا ترشدنا في شيء وبالمقابل فإننا نعرف أن الزوج الأول من فئة اليلدش أما الثاني فهو من الحرفيين و على وجه التحديد من باعة الخضر و الفواكه: "فكاه" ونرى أن التفاوت بينهما غير هام .

كما رصدنا صداقين يعودان إلى 1210هـ/ 1795م²⁹. ويخبرنا العقدان بمعطيات دقيقة عن الإلتواء الفئوي للأسرتين المتصاهرتين. فالأول يخص زواج إحدى بنات الأسر الدينية وهي أسرة بن واضح بأحد الأثرياء و هو محمد الحرار. و أما الثاني فيخص زواج بنت أحد موظفي الإدارة العثمانية، إذ كان والدها يشغل منصب "باش سايس"، بأحد الحرفيين و هو حمدان الشبارلي. بلغ المبلغ النقدي في الصداق الأول ستمائة دينار أما في الثاني فقد إنخفض إلى أربعمائة دينار .

وأحصينا خلال عام 1233هـ/1817م أكبر عدد من الحالات وهو تسع حالات³⁰. لا تكمن الأهمية فيما رصدناه في حالات فحسب بل في طبيعتها أيضا، إذ تلقي الضوء على صداق مختلف فئات النساء من بكر إلى أرملة إلى مطلقة إلى معتقة .

و لنبدأ بصداق البكر الذي تراوح ما بين ثلاثمائة و ثمانمائة دينار، أما المعدل فقد بلغ أربعين و أربعمائة دينار أي أن أربع حالات كانت دون المعدل وحالة واحدة قاربت ضعف المعدل. و أما أعلى صداق فقد كان من نصيب إحدى بنات الأثرياء و هي فاطمة بنت علي رئيس التي تزوجها عثمان يلدش النبتاجي بدار الإمارة³¹ .

بينما تراوح صداق الأرملة ما بين مائتي دينار و ستمائة دينار، في حين إنخفض صداق المطلقة إلى مئة دينار³².

²⁸ م. ش، علبة 16/1.

²⁹ م. ش، علبة 14/1.

³⁰ م. ش، العلب التالية: 130-131 ، 80-81 ، 44-46

³¹ م. ش، علبة 90-91

³² م. ش، علبة 44

و لاشك أن التفاوت الذي نلمسه بين صداق الأرملة أو المطلقة يعكس ذهنية معينة، فهنالك خوف و إرتياب إزاء المرأة المطلقة وإنخفاض صداقها و إنعدام الشروط كان لتسهيل زواجها، و في جل الحالات التي صادفتنا وجدنا أن صداق معتقات ضعف صداق المطلقة؟

لكن هل يمكننا تقدير قيمة مجمل الصداق أي بمكوناته ؟ باستثناء المبلغ النقدي للصداق المنصوص عليه في العقد بصيغة صريحة وبصفة منتظمة، و كذا قيمة القفطان فإن المكونات الأخرى كالجوهر والصوف و الغليظة و الأفراد و الحزام مسكوت عنها .

إلا أننا عثرنا على صداق فريد من نوعه يعود إلى عام 1192هـ/1778م، ذكرت فيه قيمة ما إشتهل عليه من مكونات إذ ورد كل عنصر من مكوناته مرفوقا بقيمته و هي كما يلي :

- قفطان	12 دينار
-قنطار صوف	6 دنانير
-فردان	2 ديناران
-أمة	30 ديناراً ³³

ومن ثمة فإن مكونات الصداق قد بلغت خمسون دينارا وهي تمثل ثمن المبلغ النقدي. ففي هذه الحالة يمكن القول أن مجمل الصداق بلغ خمسون وأربعمائة دينار. و لا شك أن مكونات الصداق ولاسيما الضخم منه تفوق مائة دينار .

وعلى ضوء ما سلف هل يمكننا تصنيف أنواع الصداق المتداولة في مجتمع مدينة الجزائر حسب الشرائح الإجتماعية؟ إن محاولة مثل هذه ليست هينة إلا أنه يمكن القول أن الصداق الضخم نالته بنات الطبقة الأرستقراطية. فقد نالت "رقية بنت الشيخ إمام، العالم العلامة الهمام، سليل الإعلام، أبي عبد الله محمد المقرئ" .. أما صداق "الألف دينار" فقد نالته أربع سيدات، إثنان تنتميان إلى عائلة الشريف الزهار، الأولى "فاطمة بنت الحاج محمد" عام 1139هـ/1726م والثانية "زهرة بنت السيد المهدي"

³³ م. ش، علبة 78.

عام 1186هـ/ 1772م³⁴، أما الثالثة والرابعة فلا نعرف عنهما سوى أنهما من أسر ذات حسب ونسب. فقد نعت والد السيدة عزيزة بشتى الصفات : " المعظم... الخلاصة المرتضي الفاضل السيد الحاج عثمان... " بينما والد السيدة " الزهرة" اقتضرت ذكره " بالسيد حسن³⁵ " إلا أنه من المؤكد أنها كانت من عائلة ذات حسب ونسب فعبارة السيد لها دلالتها ولعل شهرة والدها أغنت عن أي تعريف فهل كان من التجار الأثرياء أم من الموظفين السامين ؟

ويتبين لنا من خلال إستقراءنا لجل الحالات أن صدق الفئة الثرية تراوح ما بين ستمائة و ثمانمائة دينار. و ضمن هذه الشريحة نجد من ينتمي إلى طائفة الرياس، فإحدى الزوجات كانت بنت أحد رياس البحر و هو "علي رئيس" كما نجد في حالة أخرى زوجا من موظفي البحرية و هو "قايد المرسي". كما شكل " الحرارون الأثرياء" ضمنتها نسبة 33 % و يعد صدق "أربعمائة دينار" أكثر تداولاً. ويظهر من خلال إستقراءنا لمجموعة عقود الزواج في الفترة الممتدة من 1171هـ/1757م إلى حدود 1210هـ/1795م و من خلال وقوفنا عند أسماء العائلات المتصاهرة من خلال ما إشتمل عليه الصدق من مكونات أيضا [الأفراد و الصوف و الجوهر والأمة] يمكن القول أنه كان معمولا به لدى الفئة الثرية كعائلة "بن واضح". بينما لم يعد كذلك في مرحلة لاحقة إذ تقلصت مكوناته، وكادت أن تقتصر على القفطان في أغلب الحالات و في حالات نادرة على الصوف والأفراد. و من خلال وقوفنا عند الأسماء والألقاب المهنية التي صاحبته و لا سيما أسماء الأزواج، نجد أنهم ينتمون بوجه عام إلى ما يمكن تسميته "بالفئة الميسورة الحال"، إذ رصدنا خمسة عشر زوجا من الحرفيين. و لا بأس أن نشير أن الحرف الممثلة في الحرارة والقزارة و الخياطة و الحفافة و الدلالة والسراجة و الصباولجية كما وجدنا واحدا من رياس البحر و خمسة من الجيش الإنكشاري لكنهم ليسوا من أصحاب الرتب إذ جلهم من اليلدش .

³⁴ م. ش، علبة 83.

³⁵ م. ش، علبة 17.

أما أدنى صداق و هو " ستة دنانير" فكان من نصيب فاطمة بنت محمد التي كانت على ما يبدو زانية ثم ثابت "الثبت الثانية" فأنكحها محمود التركي بن حسين عام 1246 هـ/ 1830 م. و نجد أن التفاوت بين صداقها و المتداول حينئذ هام جدا، بل إنه مثل صداق المعتقة. ولتكتمل لدينا الصورة عن أنواع الصداق رأينا من المفيد الإشارة إلى شريحة قلما نتعرض لها و هي شريحة المعتقات. و هنا يجب التمييز بين صداق المعتقات اللواتي تزوجن ضمن الشريحة نفسها وبين اللواتي تزوجن خارجها .

بخصوص الصنف الأول رصدنا تسع حالات تراوح فيها الصداق بين ثلاثة دنانير و أربعمائة دينار³⁶ أما بخصوص الصنف الثاني فقد عثرنا على ثلاثة حالات، الأولى تخص معتقة عقد عليها واحد من عناصر الجيش الإنكشاري سعيد يولداش³⁷ و الثانية عقد عليها الشيخ الشعابني و في كلتا الحالتين كان الصداق مائتا دينار³⁸، أما الثالثة/ و مثلما يوحى به إسمها: "حفصة العلجية معتقة حسن باشا" فهي إحدى الأسيرات الأوروبيات و من أسرى القصر "معتقة حسن باشا"، إعتنقت الإسلام. و تعد حالتها جديرة بالإهتمام، وهي حالة يمكن إعتبارها "شاذة" إذ هي المعتقة الوحيدة التي حظيت بصداق ستمائة دينار بمكوناته، من قفطان وفردين؟ والذي كان مقصورا على الفئة الثرية³⁹، و يتبين من دراسة عقود الزواج أن صداق الأخريات إقتصر على المبلغ النقدي. هذا كما صادفتنا حالة واحدة لصداق مملوكة تزوجها مملوك عام 1239 هـ / 1823 م وكان صداقها زهيدا إذ لم يتعد خمسة و أربعين ريالا⁴⁰. يعد الصداق إحدى الشروط الأساسية لصحة النكاح، وهو كذلك ملك للمرأة و لها مطلق الحرية في التصرف فيه. فمتى تحصل عليه و كيف؟

³⁶ م. ش العلبة الآتية : 108-109 : 14 66 65 67 79 .

³⁷ م. ش علية 66-65.

³⁸ م ش علية 88.

³⁹ م ش علية 91-90.

⁴⁰ م ش علية 109-108.

يدفع المهر حسب الفقهاء على أقساط و إشتراطوا أن يكون الأجل معلوما⁴¹.

و جاء في القوانين الفقهية للفقهاء الأندلسي "ابن جزري" ما نصه: "يجوز أن يكون الصداق نقدا أو كاليا إلى أجل معلوم تبلغه أعمار الزوجين عادة و قيل أبعد أجله أربعون سنة"⁴² ما الممارسات السائدة وقتئذ في مجتمع مدينة الجزائر؟

إستنادا إلى وثائقنا وهي عقود الزواج فقد إعتد أسلوبان في تقديم الصداق: أسلوب يقضي بدفعه على ثلاثة أقساط وآخر يقضي بتقديمه على قسطين. و هو ما تنص عليه وثائقنا كما يلي :

" -صداق قدره بين نقد محضر، و حال منظر، وكالي مؤخر ألف دينار..."

" -صداق مبارك ميمون قدره ما بين نقد محضر وكالي مؤخر..."

"فالنقد" أو "النقد المحضر" يمثل الجزء الأول من الصداق ويقدم قبل البناء أي قبل الدخول أو إتمام الزواج، و له طابع فوري وإلزامي وهو يمثل عادة نصف المبلغ. و هو ما يرد في نص العقد بصيغة ... تعد من ذلك قبل البناء بها و إرخاء الستر عليها شطر الدنانير⁴³

ولا يلزم الزوج بتوفير المكونات الأخرى اللهم في حالات بنات الأثرياء حينما يكون الصداق ضخما، كصداق رقية بنت السيد محمد المقرري و فاطمة بنت الحاج محمد الشريف الزهار و غيرهن، إذ إشتراط تقديم نصف المبلغ النقدي ونصف المكونات من جوهر وقفطان و صوف وأمة.

أما بخصوص الأسلوب الثاني أي تقديم الصداق على ثلاثة أقساط، فهناك النقد، و الحال، و الكالي. إذ يقدم القسطن قبل إتمام الزواج لكن ليس دفعة واحدة .

فالأول فوري و الثاني على مدى قريب و كلاهما يقدم قبل إتمام الزواج .

⁴¹ ابن جزري. - القوانين الفقهية. - نشره ابن حمادة اللزاهم الشريف و محمد الامين الكتبي. - تونس، 1926. - ص. 197

⁴² الجزيري، عبد الرحمن. - كتاب الفقه على المذاهب الاربعية. - دار إحياء التراث العربي. - الطبعة السابعة، 1986

⁴³ إن عبارة شطر الدنانير تعني نصف المبلغ المالي

غير أننا عثرنا على إحدى الحالات ففي تصفية تركة مصلح الدين الرئيس بن التركي الذي كان متزوجا بإحدى بنات الطبقة الأرستقراطية الحاكمة و هي السيدة مريم بنت الباشا إبراهيم المدعو عرباجي 1098هـ/1686م أن "الحال" هو أيضا لا يقدم دوما قبل البناء. "... و في باقي صداق الزوجة حاله و كياله ألف دينار إثنان وأربعمائة دينار⁴⁴...". أما الثالث، أي الكالي و هو بقية الصداق فيقدم بعد الزواج على مدى بعيد نسبيا و يحدد أجله في نص العقد. و يبدو من خلال دراستنا لعقود الزواج أن هذه الممارسة كانت سارية عندما يكون الصداق ضخما تيسيرا للزوج. لكن الممارسة الأكثر إنتشارا، في مجتمع مدينة الجزائر، هي الأولى، أي تقديم الصداق على قسطين: "النقد" أو "النقد المحضر" و هو الدفع الفوري الذي يتم قبل البناء مثلما أشرنا إليه أعلاه ثم "الكالي" أو "الدفع المؤجل" و هو بقية الصداق الذي يحدد أجله في نص العقد. وفي جل الحالات التي صادفناها تراوحت المدة بين سنتين و ست سنوات، غير أن الإتجاه الغالب كان أربع سنوات، و لا يحدد الأجل بست أعوام إلا حينما يكون المهر غاليا .

و تكشف لنا تصفية تركات المتوفين من الرجال أن المدة الزمنية المتفق عليها في نص العقد لم يتقيدوا بها إذ رصدنا عدة حالات إقتطع فيها باقي الصداق من التركات .

مما سبق نخلص إلى الإستنتاجات التالية :

تحكمت في الصداق عوامل عدة أبرزها الإلتواء الإجتماعي، فالصداق الضخم كان محصورا في الطبقة الإستقرائية. ولم يرتبط غلاء المهر بالوضعية الإجتماعية للزوجة فحسب بل بوضعية الزوج أيضا. فجل الذين قدموا مهرا معتبرا كانوا من الإرسقراطية المدنية منها و الدينية كشاوش العسكر وإبن شيخ البلد، و من البرجوازية أيضا وهذا ما يبرز بجلاء لدى ففة الحرارين .

⁴⁴ علبة.

و نلاحظ أن الصداق في هذه الحالة ضخم جدا.

- يلاحظ أن التفاوت بين صداق البكر و صداق الثيب المتوفي عنها الأرملة يكاد ينعدم في بعض الحالات إذ حظيت الأرملة بما حظيت به البكر على خلاف المطلقة التي لاحظنا أن دافها كان أضعف صداق.

- لم يطرأ تغير جوهري على الصداق كممارسة إجتماعية، لامن حيث مكوناته و لامن حيث طريقة تسديده.

- إستمّر الأهالي يتعاملون بنفس العملة النقدية و هي الدينار الخمسيني و هذا حتى خلال الثلاثين سنة التي أعقبت الإحتلال .
و في ختام هذه الدراسة هل يمكننا إعتبار قيمة الصداق إحدى الدلالات الإجتماعية تعكس الإنتماء الفئوي ؟

ملحق عقد زواج محمد بن الحاج أحمد شيخ البلد بالزهرى بنت السيد المهدي نجل الشيخ سيدي محمد الشريف 45 .

الحمد لله... المنعم بالإحسان، المحسن بالأنعام، المنزه 46 .

عن نقصان الحدود و حدود النقصان المنفرد بشأن العظمة وعظمة الشأن المقدس عن إمكان التكيف و تكيف الإمكان الذي يعجز عن أداء شكره بيان البلاغة وبلاغة .

البيان الذي جعل النكاح إحصانا بالإعتصام، و إعتصاما بالإحصان .

وداعيا إلى عمران الوجود ووجود العمران، ووقاية من شيطان الخاطر و خاطر الشيطان نحمده سبحانه و تعالى على نعمه المفتونة بالحسنى الحسنة.

الإقتران حمدا عن حسيان الحصر و حصر الحسيان و نشكره جلى جلاله على منافع الألاء شكرا نستمطر به إمتنان العوارف عوارف الإمتنان و نشهد إن لاله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مدحورة ليوم .

⁴⁵ نص العقد محفوظ من سلسلة المحاكم الشرعية. علبة 86 - 85 - 84.

⁴⁶ لقد حرصنا أثناء إعادة نسخ نص العقد على الإبقاء على الصيغة الأصلية بل حافظنا على الشكل الذي قدم به كي يتعرف القارئ على اللغة المستخدمة وعلى الطريقة المعتمدة من طرف الموثقين وقتذاك.

عيان الهول و هول العيان و بعد فإن الشاب الأنجب الخير الأنسب الحسيب
النسيب الأديب...؟! الطيب و النخية المباركة السيد محمد بن المعظم الأكمل الزكي
الأفضل الخير الأشمل الناسك. الأبر الحاج المعتمر السيد الحاج أحمد شيخ البلد في
التاريخ تزوج بالبكر الجليلة الدرّة المكنونة الحرّة الأصيلة السيدة الزهر بنت المرحوم
بكرم الحي القيوم السيد مهدي نجل الشيخ البركة سيدي محمد الشريف .

نفعنا الله ببركاته البالغ في حجر والدتها طومة بنت السيد محمد الحرار على صدق
قدره ما بين نقده وكاليه ألف دينار واحد كلها جزائرية خمسينية العدد و قفطانان إثنان
أحدهما مذهب و الآخر

بقالة كمخة و غليلتان ثنتان لكل واحد منها غليلة تناسبه وحزامان إثنان أحدها
بالذهب أربعة فراد و ستة قناطير من الصوف و أمة واحدة من رقيق السودان الصالحة
للخدمة ووقتتان ثنتان أحدهما تجعل مع الخيرية .

و ذلك صارمة ذهب نقدها الجميع عدى الشطر من الدنانير المذكورة يحل لها عليه
لمضي ستة أعوام آتية من تاريخه لما يستقبل إنكحها إياه بما سمي فيه بعل والدتها السيد
محمد الإنكشايري بن عبد الرحمن بن ساطي به عرف بمحضر .

جدها للأم السيد محمد المذكور أنفا بتوكيلها إياه على ذلك بعد استثمارها ورضاها
بالزوج و قُدّر المهر قولاً حسبما توكيلها وإستمارها كما ذكر تلقاه منها شهيدا و قبل
للزوج المذكور والده السيد أحمد المذكور و نص له ذلك .

قبولا ورضا تامين فتم النكاح بينهما على واجب النكاح و السنة و الخير الشامل
من الله... ألف الله بينهما باليمن و البركة وخارلهما في حالتي السكون و الحركة و
شهد على من ذكر بما ذكر على نحو ما بين وسطر و الكل بالحالة .

الجايزة شرعا و عرف البنت بتعريف من ذكر بتاريخ أوائل قعدة الحرام من عام ستة
وثمانين و مائة ألف من هجرته عليه السلام.

الحمد لله الذي منحه بلا عسانا المحسن بلا انعام، المنزه
عن نقصان فقره وجرود انعماته المنفرد بشان نعمته وعظمته امتنان المنفرد
عن امتنان التكليف وتكليف الامكان الذي يعجز عن ادراكه بيان البلاغة وبلاغته

الهيبة الذي جعل الزكاح احسانا بلا اعتناء واعتناء بلا احسان
وداعية الزمان الوجود ووجود الزمان، ووقاية من شيطان الخمر والفساد
انسيان الحزن الذي جعله تعالى على نعمة المقترنة بالحمس والحمسة

لا اقتران ههنا يجلس ميسان الفصرو حصر الحسان ونشك كى جلاله
على ما يجرى من انما افست على به امتنان العوارب وعوارب الامتنان ونشك
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مع شوقه ليوم

عيان الهوار هو الاعميان **وهو** في انشاء الالف الجيب
الانصب الجيب الانصب الاكيب انشاء العجيب والنجية المباركة
انسيان عجزنا عن انما انما الترحيل افضل التغيير انما انما انما

الامر الحاج للمع انسيان الحاج **انما** من انسيان ^{ترج} بالانسيان
انما انسيان الوجود المنفرد الوجود الاصلية انسيان الوجود انسيان
بلى انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود

نوعنا انه يبرك انسيان في حيز الوجود الوجودية كسومة نبت انسيان حيز الوجود
على صفة ان في ذلك ما يميز نفعه ونزاهة الوجود في انسيان الوجود
كلها جزايريه محسنة الوجود وفيها ان انسيان انسيان الوجود والآخر

بفالة كتح وعليلتان ثلثتان لكل واحد منها علية تناسيم وخرامان ثلثان
انسيان الوجود والوجود انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود
انسيان الوجود الوجود وفيها انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود

وذلك صفة في هذا **الجميع** عن انسيان الوجود انسيان الوجود
المركزة على انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود
بلاسيق به انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود انسيان الوجود

